قصة هداية الملحد (جباره)

أكتوبر ٢٠٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل أجمعين، نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فهذه قصة هداية الأخ عبد الجليل (سابقا جباره) من الإلحاد إلى الإسلام، وعمره ٣٦ عام، وهو غير متزوج.

مرحلة (النشأة)

يقول: أنا وُلدت في عائلة عادية ولكنها منفكة عقائديا، وهي لا تعتقد ولا تؤمن بوجود رب، ولا تؤمن بالإلهية، نعيش حياتنا بشكل طبيعي في الاستمتاع بمكملات الحياة من الطعام والشراب والعمل وقضاء الأوقات في السهر والترفيه وسماع الأغاني ومشاهدة التلفاز والزيارات والخروج والعودة، والكل منا ملتهي بقضاء شؤونه الخاصة والعامة.

وأنا منذ أن عرفت نفسي على هذه الحياة وعائلتي لا تؤمن بأي ديانة ولا أي إله، وإيماننا الثابت هو إنكار أي وجود للرب أو أي إله، واعتقادنا هو أن الكون والإنسان والحيوان والنبات **وُجدوا صدفة**، ونؤمن أنه سينتهي هذا الكون كما بدأ، وأنه لا توجد حياة بعد الموت، وأن المادة أزلية أبدية، وأن تاريخ الأمم السابقة هو صورة مُقَـزِّزة للجرائم والحماقات التي قامت في هذا الكون، وأن الإنسان نفسه مادة تنطبق عليه

قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية، وأن القوانين تُسَيِّرُنا حسب أهوائها وحسب مشيئة الطبيعة التي تتحكم في كل شيء.

ومضى بي الحال في سنوات عمري السابقة وأنا أؤمن بهذه الفلسفة التي أنا عليها مع عائلتي، وأعتمد هذا الروتين لحياتي، ولكن ومن الجانب الآخر كنت **كثيرا ما أجد الفراغ الروحي**، وأشعر أنني غير راغب في إمضاء الحياة لأنها فارغة، فاليوم يبدأ كما انتهى اليوم الذي قبله، وسيأتي اليوم الآخر بنفس الروتين، وحياتي طبيعية متكررة كل يوم، مع فارق أن هناك أيام تتغير فيها بعض الأحداث والأمور المؤثرة وغير المؤثرة.

ورغم ذلك كنت دائما أعود الى ممارسة الأعمال التي كنت أعتقد أنها تملىءُ هذا الفراغ من علاقات محرمة ومن شرب للمسكرات ومن لهو ولعب وممارسة الهوايات وما أحب فعله لتسير هذه الحياة التي كنت مؤمن فيها.

وقفة مع النفس

ورغم كل هذا كنت كثيرا ما أفكر وأسأل نفسي: **هل حقا نحن وجدنا من العدم؟**

هل حياتنا هكذا صحيحة؟

هل نحن موجدين من فراغ؟

ولماذا نحن موجودين أصلا على هذه الحياة؟

وهل هناك ضرورة لوجودنا؟

وكنت أسأل نفسي: لو لم نوجد في الأصل ما الذي سيتغير؟

وما الفائدة من كوننا موجودين؟

وكان هناك الكثير من الأمور والأسئلة والاستفسارات التي تملىءُ عقلي وقلبي، والتي كنت دائما أجد أن لا أجابات عليها، ولهذا كنت أحاول نسيان التفكير بها لأنني ببساطة أجد أن هناك وجع يصيب رأسي من التفكير فيها، فلهذا كنت أحاول الابتعاد عنها بقدر الإمكان.

ومما كان يشجعني على نسيان التفكير بها هو أنني كنت أرى عائلتي كيف تعيش، وكيف كانت حياة أمي وأبي وأخواتي الأثنتين، فكنت أقنع نفسي أننا نسير في مركب واحد، وأنني بالتأكيد لست لوحدي، ولن أكون مخطئا لو كان هناك إيمان مختلف، وكنت أقنع نفسي بأن هذه الحياة ستمضي بنا بنفس النهج، ولهذا كنت أمنع نفسي من التكلم مع أهلي في هذا الأمر على الرغم من أنه كان يشغل بالي دائما، ودائما ما يعود بي التفكير به بشكل متكرر وخاصة في أوقات كثيرة، مثل منتصف الليل حين أكون على وشك النوم، أو حين يحدث شيء في الطبيعة نفسها، مثل نزول المطر بشدة، وحين رؤية البرق وسماع صوت الرعد، وحين أرى تغير فصول العام من بداية نزول الأمطار والثلج والرياح العاصفة إلى فصل الربيع الذي يكون فيه كل شيء جميلا، من

اخضرار الأرض وظهور الزرع والزهور، وإلى فصل الصيف الحار والشمس المتوهجة، إلى فصل الخريف وتغير لون أوراق الشجر وتساقطها على الأرض، وكنت أتأمل في النجوم وتناسقها الرائع، ولطالما كنت أنظر في الجبال والوديان والسهول والكائنات الحية والبحار وغيرها، وأيضا كنت أتعجب حين أرى النساء حين تلد الأطفال، وأرى الطفل الصغير كيف تقوم حياته منذ ولادته حين يكون صغيرا لا يقوى على شيء سوى الرضاعه من أمه، إلى مراحل نشأته حين يكبر قليلا.

كنت أفكر

وكنت أفكر كيف يعيش الإنسان في رحلة حياته بكل هذا النظام العجيب والدقيق، **وكنت أفكر** أن الإنسان ككائن حي له دورة حياته الخاصة به بمراحلها المتتابعة، التي تضمن استمرارية وجود نوعه على الأرض.

وكنت أفكر كثيرا بحياتي وخاصة كل ما يتعلق بمسألة حياة الإنسان من مراحل من حين كونه جنينا إلى الطفولة وإلى المراهقة والشباب، إلى الرشد، إلى الشيخوخة، إلى الموت وانتهاء الحياة، وأسأل نفسي هل حقا قد جاء الجنين إلى هذه الحياة عن طريق الصدفة، وخاصة أنه ينشىءُ في مراحل متتابعة ومتسلسلة منظمة بشكل رهيب ودقيق، وتكون هذه المراحل بدورة ثابتة بنفس الترتيب عند كل البشر، يمرون بها جميعا، بحيث تعتمد كل مرحلة منها على ما سبقها من مراحل، وليس هناك أبدا استثناءات فيها.

وأيضا ألاحظ أن لكل الكائنات الحية على الأرض دورة حياة خاصة بها، كالنباتات والحيوانات والحشرات، ولكل منها مراحلها التي تضمن استمرارية وجود نوعها على الأرض.

وهكذا كانت هذه الأسئلة تدخلني في دوامة كبيرة من التفكير وتشتت الذهن، وتصير حالتي النفسية سيئة، لأنني كنت أفكر بها دائما دون الوصول إلى إجابة تريح تفكيري.

التغير في حياتي

بدء التغير في حياتي حين جاء إلى بيتنا شاب اسمه فادي، كنت قد عرفته فيما مضى، وكنت أعرف أنه يعمل في برمجة رسيفر الستالايت، وأتذكر أنني كنت في البيت لوحدي حين لم تعمل تلك القنوات الهابطة التي كنت أدمن في مشاهدتها، وخاصة ما هو منها معنِيٌّ بالأمور الجنسية والقنوات الموسيقية والأفلام والبرامج والمباريات وغيرها مما كنت أتابعه باستمرار، فأتذكر جيدا أن فادي سألني بعفوية (ما الذي يجبرك على متابعة هذه القنوات يا جبارة؟)، فقلت له (أشاهدها لأنني متعلق بها وهي تملىء فراغي ولا يوجد شيء آخر أفعله)، فقال لي (لماذا عندك فراغ بهذا القدر؟)، فأجبته (لأن حياتي كلها فراغ أصلا، وأنا أخصص جزء من حياتي في متابعة هذه القنوات التلفزيونية لملىء جزء من هذا الفراغ)، فبدأ فادي يتكلم ويشرح لي بأنه لا يجد هذا الفراغ في حياته، وأن حياته مبنية على أوقات مفيدة له، فسألته (كيف هذا، أخبرني؟)، وسألته تحديدا (ما

الذي تفعله في حياتك لكي لا تكون حياتك مثلي)، فقال لي جوابا لن أنساه مهما عشت على هذه الحياة قال لي (**أنا أعبد الله وأطيعه ولهذا لا أجد الفراغ الذي ينغص علي حياتي**)، فكان جوابه لي مثل الصاعقة التي ضربتني وأيقضتني من سبات ونوم عميق، فقلت له: (ولكنني أنا لا أؤمن بأن هناك إله أصلا، لأننا وُجِدنا بفعل الطبيعة، فكيف تريد مني عبادته؟)، فقال لي: (وكيف لا يكون هناك إله يا جبارة، وإن لم يكن هناك إله فمن الذي أوجدك على هذه الحياة، ومن الذي أوجدني وأوجد كل هذا الخلق؟)، وسألني (هل هذا الكون الفسيح بمنظومته الدقيقة وُجِد بالصدفة وهل هو من صنع الطبيعة؟

وهل يوجد أي شيء فى الكون بدون واجد وخالق؟

وهل المصادفة تصنع قانوناً مُحْكماً بهذا الشكل الذي نعيش فيه؟

وإذا كانت الطبيعة هى التى خلقت هذا الكون فمن أين جاءت بمكوناته؟)

ومما قال لي: يا جبارة انظر وفَكِّر بهذا الكون المحكم البديع الذى يسير كل شيء فيه بنظام دقيق ورائع فلو فرضنا أنه اختل، ما الذي سيحدث؟

بالتأكيد ستتدمر الحياة بأكملها.

وقال لي: مثلا لو سافرت إلى صحراء قاحلة بمفردك، ونمت بعض الوقت لتستريح ثم استيقظت وأنت جائع جدا، فوجدت مائدة عليها طعام وشراب، هل ستأكل منها قبل أن تساءل فى نفسك من أحضر هذا الطعام؟

وكيف وُجِد هذا الطعام في هذا المكان الموحش الخالي من أي وجود للحياة ولأي مصدر من طعام أو شراب؟

وسألني: كيف ترى هذا الكون كله الذي أُعِد لاستقبالنا قبل أن نولَد بشمسه وقمره ونجومه وأرضه وسماءه وبحاره ويابسته وكل شيء من حولنا؟

والذي يسير كل شيء فيه بنظامه وقانونه الذى لا يخرج عنه أبدا.

أيقبل هذا العقل السليم يا جبارة؟

أيقبل أن لا يكون لهذا الكون الواسع خالق ومدبر يديره؟

وهل هذه القوانين المحكمة صنعتها المصادفة وتركت الكون يدير نفسه؟

فقلت له: إن كان هناك إله فأين هو؟ ولماذا لا نراه؟

فقال لي فادي: يا جبارة إننا نؤمن بوجود الكهرباء ولكن هل نراها؟

وهانحن فى مكان فيه الإنارة مضاءة والمراوح تعمل والتلفاز يعمل، ولو سألتك هل توجد كهرباء؟ ماذا سيكون جوابك؟ بالتأكيد سيكون جوابك: (أمجنون أنت؟ ألا ترى الإضاءة والمراوح والتلفاز وكذا وكذا؟ بالتأكيد هي تعمل بالكهرباء)، فقلت له: وهل ترى الكهرباء؟!

وسألني: هل نحن نرى الجاذبية الأرضية؟ وهل نرى المغناطيسية منها؟ هل نرى أشعة الليزر أو الموجات فوق الصوتية وكل هذه الأمور؟ أم أننا استدللنا على هذه الأشياء كلها بتأثيرها؟

فقلت له: بتأثيرها، فقال لي: يا جبارة إن حواسنا التى خلقها الله لنا ليست معدة لإدراك كل المخلوقات، **فكيف لنا بإدراك من خلقها؟!**

ثم بين لي أن وجود الله يُستدل عليه من خلال **الفطرة والعقل والشرع والحِس**، وشرحها لي فقال: أما دلالة الفطرة على وجود الله فإن كل مخلوق قد فُطِر على الإيمان بخالقه من غير سَبْقِ تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مُقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها.

دلالة العقل على وجود الله

وأما دلالة العقل على وجود الله فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجَد صدفة، نعم، لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلُق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقا؟! ولهذا لا يمكن أن تُوجد صدفة لأن كل حادث لا بد له من مُحدِث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعا باتا أن يكون وجودها صدفة، وإذا الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظما حال بقائه وتطوره، ولهذا لا يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة، ولهذا يتعين أن يكون لها موجِد وهو الله رب العالمين، خالق كل شيء.

وقال لي: إن الله أنزل كتابه على البشرية من خلال رسوله، وقد ذكر الله هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي، وقرأ أمامي الآية التي توضح هذا ﴿أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾، وشرحها لي، وضرب لي مثلا يوضح ذلك، فإنه لو تكلم لي شخص عن قصر عظيم، مُشَيد بإبداع كبير، وقد أحاطت به الحدائق وجرت فيه الأنهار، وهو مليء بالفرش والأسرة والأثاث الفاخر، وقد زُيِّن بكل أنواع الزينة، وقال هذا الشخص: (إن هذا القصر وما فيه قد أوجد نفسه بنفسه، أو وُجِد هكذا صدفة بدون مُوجِد) فهل تصدق هذا؟ بالتأكيد ستبادر بنفسك يا جبارة إلى إنكار ذلك وتكذيبه فورا، ولقلت لنفسك إن كلامه تافه، لا يصدقه العقل، ولعددت حديثه جنون وأن قائله مجنون،

فقلت له (نعم يا فادي، كلامك صحيح)، فسألني: أيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسه أو وجد صدفة بدون موجد؟!

دلالة الشرع على وجود الله

وقال لي: وأما دلالة الشرع على وجود الله فإن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وكل ما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وكذلك ما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

ثم ذهب فادي ولكن بقي كلامه عالقا في ذهني، وكنت أفكر فيه، لأنه أثَّر بي كثيرا، وبعد فترة تواصلت معه لأسمع منه أكثر، لأن حديثه أيقظ في رأسي الكثير الكثير، وتكلمت مجددا معه وسمعت منه المزيد حول هذا الأمر، وهنا سلمني كتاب القرآن مع التفسير، وطلب مني قرائته لأهميته، وأيضا لكي يهدأ بالي، وقال لي عنه أنه كلام الرب الخالق، وطلب مني أن أضع ما أؤمن به أنا وعائلتي في جانب، وأحاول نسيانه لبعض الوقت، وأن أحَكِّم عقلي وقلبي فيما سمعت منه، وأن أفكر بإنصاف وتجرد فيما سمعت وعلِمت من أمور حول إيماني بعدم وجود رب لهذا الكون، وقال لي: إن هذا الكتاب (كتاب القرآن) هو كلام الله المقدس، وهو الكتاب المحفوظ من الله، والمنزه عن التحريف

والتغيير، وقال لي الكثير عنه، مما جعلني أتشجع جدا للقراءة فيه، وفعلا من خلال قرائته وجدت أن لهذا الكتاب أثر كبير في نفسي، وسبب مباشر في حصول الهدوء النفسي والراحة العميقة والعجيبة التي حدثت لي، فقد وجدت استقرارا رهيبا في نفسي، وكم أذهلني هذا الكلام الذي اقرئه فيه، فأنا لم أمسك بيداي كتابا مشابها له، وأتذكر أنني كلما كنت أشعر ببعض الضيق النفسي او الاضطراب كنت أذهب وأفتح هذ الكتاب واقرأ فيه لأعود لنفس الحالة من الاستقرار والهدوء النفسي والمزاجية الحسنة، وكان لهذا الكتاب (القرآن) أعظم الأثر في تغيير نفسيتي إلى الأحسن، فأنا لم أشعر طوال حياتي السابقة بهذا الشعور، وأصبحت أحب كثيرا القراءة فيه لأنه كان يجلب لي شعور كبير من الاسترخاء والراحة التي كانت تنقصني كثيرا في حياتي.

وكم كان مهما لي أن ستلمت من فادي الكتاب الهام جدا (هل الله موجود؟)، هذا الكتاب أثر على تفكيري وأيماني تأثيرا كبيرا جدا لأهمية كل المعلومات التي فيه، فهو الذي جعلني أستدل على وجود الله الخالق، وفم كان لهذا الكتاب من أثر عظيم في نفسي لأيقن وأجزم أن هناك إلها لنا، وأن لهذا الكون الواسع إله موجود، خلقنا وأوجدنا من العدم.

ومن ثم وبعد جلوسي مع فادي شرح لي عن دينه الاسلام وعن خصائصه وميزاته، وأخذت منه كتابا بعنوان (لماذا خلقنا الله؟)، وزاد هذا من تعريفي في الغاية التي خُلِقنا

من أجلها، وأصبحت عندي غاية، وهي حب التعرف على الاسلام أكثر وأكثر، فقد جذبني كثيرا كلام فادي وما أقرأه في هذه الكتب عن هذا دينه، وأنا وجدت أن هناك أساسا واضحا لهذه المعيشة من خلال هذا الدين، وأننا لم نتواجد عبثا، فكلما سمعت أكثر زاد يقيني أن لهذا الكون مبدأ يجب أن يكون، **وأن مقولة أن الطبيعة هي مَن صَنعتنا وأوجدتنا خاطئة**، ومن خلال الوقت زادت وكبرت الرغبة عندي في التعرف على الاسلام فزودني فادي ببعض الكتيبات والمقالات التي توضحه أكثر مثل كتاب (شعب الإيمان في شريعة الإسلام)، وكتاب (الإسلام دين الفطرة)، فزادت معلوماتي ومعرفتي لهذا الدين، وتبين لي أن هناك أساسا متينا لهذا الدين، وأن ما فيه ينطبق مع التفكير السليم لأي أنسانٍ يريد بكل صراحة تحكيم عقله وقلبه من أجل معرفة الحق، وكم تأثرت بالراحة النفسية التي كان عليها فادي حين كان يشرح لي عن دينه الاسلام وعن حياته في هذا الدين، فكنت أعمل مفارقة بينها وبين ما كنت عليه فوجدت أن الفارق كبير جدا لا يقاس.

وحتى الشبهات التي كنت أسمع عنها كالتصاق الإسلام بالإرهاب، وأنه دين التشدد والضعف والتخلف والفقر التي بهم؛ وجدت لها الإجابات المقنعة من فادي، وقد انتفعت من الكتيبات التي أعطاني إياها، مثل (ما الحكمة من القتال في الإسلام؟)، و (هل انتشر الإسلام بالسيف؟)، و (موقف الإسلام من الإرهاب)، و (الجواب عن شبهة

وجود الضعف عند المسلمين وحصول المصائب بينهم)، وغيرها، وهذا زاد من قناعتي أن الإسلام هو الاتجاه الصحيح والبوصلة الدقيقة التي يجب أن أتوجه اليها إن كنت أريد الحق وإن أردت أكون في الطريق السليم.

وهذا جعل في نفسي الكثير من الاتزان والسكينة والبعد عن عواصف التشتت والاضطراب والهواجس والفراغ الروحي التي كانت تحيط بي حين كنت أظن أن كانت حياتي صحيحة.

وبصراحة تعرفي على الإسلام أجابني على الكثير من تلك الأسئلة، وخاصة المسألة التي لطالما كانت تؤرق تفكيري وهي وجودنا على هذا الكون، وأن الطبيعة هي من جلبتنا لنعيش مثل الحيوانات والكائات الأخرى، وتعرفي على الإسلام جعلني أبتعد عن إيماني الفارغ بأن هذه الطبيعة هي من أوجدتنا وأننا نعيش بدون خالق ولا رب ولا صانع لهذا الكون الفسيح.

ثم أسلمت

تم بحمدالله دخولي في دين الإسلام منذ ما يقارب السبعة شهور، في تاريخ ٢٠٢٣/٣/٧ م ، بعد أن نطقت بالشهادة التي أخبرني بها فادي وقلت من قلبي بأني أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ولا أتذكر أنني عشت في حياتي بمشاعر تشبه هذه اللحظات، فقلبي كان يخفق بقوة وكانت مشاعري ممزوجة بالسعادة والغرابة، فأنا لم

أعش هذه اللحظات من قبل في حياتي، فها أنا أؤمن أن هناك خالقا وهو الله، وأقول في قلبي وعقلي ولساني أنني أشهد أن لااله الا الله، وأنا الآن أعبد الله رب العالمين وهذا تغير كبير طرىء على حياتي، ومن ذلك اليوم وأنا في سعادة كبيرة جدا، وأجد أن حياتي أصبح لها معنى، وخاصة من خلال عباداتي التي تعلمتها من طهارة والصلاة والصيام وقراءة للقرآن الكريم، ومن تعلم الأخلاق والطاعات وذكر لله وتعلم فضائل الإسلام، وهذه الأمور التي غيرت كل سلوك حياتي، وجعلتني شخصا أعيش لهدف في هذه الحياة، وهو هدف عبادة الله.

كما أشعر بأني وجدت خزينة عظيمة كانت مخبأة، وهو شعوري بالفرح الذي ملأ قلبي بشكل عظيم لا يمكن توضيحه من خلال الكلمات مهما قلت عنها، فالفرق كبير بين حياتي في الإسلام وما كنت فيه في الإلحاد، وبحق إنني الآن أستشعر وجود الله الخالق بجانبي، وفي كل مكان في حياتي، وهذا يجعلني قوي العزيمة ومطمئن القلب ومرتاح البال، لأنني أعلم الآن أن كل ما سيحدث في حياتي هو من الله وليس من فعل الطبيعة أو من الصدفة، بل هو مدبر ومكتوب من الله الخالق.

فالحمد لله على هدايتي للإسلام لأكون موحدا وعابدا ومؤمنا بالله الخالق رب السموات والأرض، وخالقُ ومبدع هذا الكون الواسع، فقد وجدت في الإسلام مبتغاي ومقصدي، لأن الإسلام يعني المنطق والعقل والإيمان، وفي الإسلام وجدت العلاقة بين الله الخالق

والمخلوق قائمة على طاعة المخلوق للخالق، ووجدت أن الإسلام دين عالمي شريعته عامة لكل البشر دون استثناء، وأن القرآن الكريم يحتوي منهاج حياة يسير عليه البشر، ويمكن تطبيق مبادئه وشعائره وأحكامه في كل زمان ومكان، وهذا ما جعل حياتي تتغير كثيرا لنحو السعادة الكبيرة في هذا الدين العظيم، والأن سأتزوج لأبتعد عن السلوك السيء الذي كنت فيه قبل دخولي للإسلام وأمتنع عن الوقوع في العلاقات المحرمة، وكم أقتنعت بكلام فادي لي عن أهمية وفضائل الزواج، وهو وضح لي أن في الزواج الآمان من الفواحش، وفيه طهارة القلب وزكاة النفس، وهو سبب للذرية المسلمة الصالحة التي تتعاقب على الأرض لعبادة الله، فالحمدلله على نعمة الإسلام، هذه النعمة العظيمة التي غيرت حياتي وجعلتني سعيدا جدا بعد أن كنت في غاية التعاسة، فالحمدلله رب العالمين .